RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 2, March 2023

Received: 27/01/2023 **Accepted:** 11/02/2023 **Published:** 01/03/2023

GENERAL CONDITIONS IN SERBIA UNDER THE OTTOMAN RULE UNTIL 1804 AD

Abbas Muhammad Jamil AL-AGHA[1]

Lect. Dr., Nineveh Education Directorate, Iraq

Iman Hamid KAZEM[2]

Assist. Lect., Babylon Education Directorate, Iraq

Abstract

Serbia is located at the crossroads of a historical European road, as it was a buffer zone between East and West represented by two empires, the Ottoman Empire, the Austrian Empire, and it was a battlefield in favor of the great powers. The Austrians in particular, and that their control over it took place after several attempts in the year 1450 AD. It became clear through research that Serbia is an agricultural country primarily dependent on agriculture and animal husbandry, and the Ottomans imposed taxes on them. As for education in Serbia, it was primitive and within the church only, and that the law used It is the law of Dushan and the teachings of the church in addition to some Ottoman laws. The national spirit grew to obtain independence among the Serbs after they were exhausted by taxes, the treatment of the Janissaries, and their domination, in addition to many of the reasons that prompted them to revolt and demand independence, which eventually led to the Serbian revolution in 1804 AD.

Key words: Serbia, The Ottoman Empire, Russia, Dushan's Law.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.22.45

[1] abassmohmmedaghs@gmail.com

[2] emankdham@gmail.com

الأحوال العامة في صربيا تحت وجود الحكم العثماني حتى عام 1804 م

عباس محمد جميل الاغا

م.د، مديرية تربية نينوى، العراق

ايمان حميد كاظم

م.م، مديرية تربية بابل، العراق

الملخص

تقع صربيا على مفترق طريق أوربي تاريخي فقد كانت منطقة عازلة بين الشرق والغرب المتمثلة بأمبراطوريتين، الأمبراطورية العثمانية، الأمبراطورية النمساوية، وقد كانت ساحة معركة لصالح القوى العظمى، ومن خلال البحث لاحظنا أهمية صربيا بالنسبة للدولة العثمانية كونها تعتبر بوابة الدولة العثمانية نحو أوربا بصورة عامة والأمبراطورية النمساوية بصورة خاصة، وان سيطرتهم عليها تمت بعد عدة محاولات عام ١٤٥٠م، اتضح من خلال البحث أن صربيا بلد زراعي بالدرجة الأولى مُعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات، وقد فرض العثمانيين عليهم ضرائب، أما التعليم في صربيا فقد كان بدائي وداخل الكنيسة فقط، وأن القانون المستخدم هو قانون دوشان وتعاليم الكنيسة بالإضافة إلى بعض القوانين العثمانية، نمت الروح القومية للحصول على الاستقلال عند الصربيين بعد أن انهكتهم الضرائب ومعاملة الانكشارية وتسلطهم بالإضافة إلى العديد من الأسباب التي دفعتهم إلى الثورة والمطالبة بالاستقلال الأمر الذي أدى إلى نهاية المطاف بقيام الثورة الصربية عام ١٨٠٤م.

الكلمات المفتاحية: صربيا، الدولة العثمانية، روسيا، قانون دوشان .

مقدمة:

تقع صربيا على مفترق طريق أوربي تاريخي فقد كانت منطقة عازلة بين الشرق والغرب المتمثلة بأمبراطوريتين، الأمبراطورية العثمانية، الأمبراطورية النمساوية، وقد كانت ساحة معركة لصالح القوى العظمى. ضمّت الدولة العثمانية صربيا في عام 1450، اختفت الممالك الصربية بحلول منتصف القرن السادس عشر، فقد مزقتها العداءات الداخلية وسيطرت عليها الدولة العثمانية فصربيا تلك الولاية العثمانية في البلقان كانت محط اهتمام العثمانيين بسبب تمرداتها المستمرة وتدخل الدول الخارجية وتحريضهم لها ودعمهم كروسيا وبريطانيا، فمنذ الانضمام الصربي للدولة العثمانية عام 1459، كانت التمردات مستمرة.

في ضوء ذلك جاء اختيارنا لهذا للبحث تحت عنوان (الأحوال العامة في صربيا تحت وجود الحكم العثماني حتى عام 1804 م).

اقتضت طبيعة البحث ان يقسم إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، جاء المحور الأول تحت عنوان **نبذة تاريخية وجغرافية عن صربيا** استعرضت من خلاله نبذة تاريخية وجغرافية عن صربيا، في حين تطرق المحور الثاني إلى **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسة حتى عام 1804**، وتناول المحور الثالث عن **التمردات الصربية حتى عام 1804**، وجاءت الخاتمة بأهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها في خاتمة البحث.

المحور الأول: نبذة تاريخية وجغرافية عن صربيا

تقع صربيا جغرافياً في جنوب شرق أوروبا، حيث أن 80 ٪ من أراضيها تقع ضمن الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة البلقان (هي جزيرة تقع في جنوب شرق أوربا وقد أطلق عليها هذا الاسم الجغرافي الألماني أ.زيون عام 1809م نسبة إلى سلسلة الجبال العالية الموجودة فيها والتي يطلق عليها البلقان والتي تعني المكان العالي) والجزء الجنوبي الشرقي من أوربا، وتعتبر من دول البحر الأبيض المتوسط صربيا تقف على مفترق طرق الشرقية والغربية و تعد صربيا منطقة جبلية بشكل عام بسبب كثرة الجبال والمرتفعات فيها (PAVLOVIĆ، 2017، 1) .

تمتاز الجغرافية الصربية بتضاريسها شديدة التنوع حيث توجد السهول الخصبة في منطقة الشمال والسلاسل الجبلية من الشرق، ولا تمتلك صربيا منفذ بحري الامر الذي جعله مناخها شديد البرودة شتاءً وحار صيفاً، حيث يختلف مناخها بين مناطقها الشمالية شديدة البرودة وبقية مناطقها المعتدلة (غدير، 2014، 16).

بلغراد - تتمتع عاصمة صربيا بموقع جغرافي ممتاز بفضل الموقع عند التقاء نهرين دوليين الدانوب والسافا وبالقرب من التلال المحيطة، موطن النباتات الغنية للغاية (DRAZIC، 2014، 96)، وتحيط بها مجموعة من الدول فيحيط من الشمال المجر، ومن الشرق رومانيا وبلغاريا، ومن الجنوب كوسوفو ومقدونيا، ومن الغرب كرواتيا والبوسنة والهرسك والجبل الاسود، تبلغ مساحتها (88،361) كيلو متر مربع (خالد، 2022، 16-17)

توصف صربيا غالباً ما بأنها "غرب الشرق وشرق الغرب حيث موقعها في البلقان، عند مفترق طريق أوروبي تاريخي، كان لها دورها كمنطقة حدودية أو منطقة عازلة بين الشرق والغرب الأمبراطورية الرومانية (وهي أمبراطورية كبيرة تأسست في أوربا الوسطى والغربية في عام 962 م عندما توج البابا يوحنا الثاني عشر أمبراطوراً لها وبهذا شملت ألمانيا وإيطاليا وتوسعت بعد ذلك حتى وصلت ذروة قوتها خلال العصور الوسطى المظلمة) (أحمد،2007) في العصور القديمة، وبين الأمبراطورية العثمانية (تأسسّت الدولة العثمانية عام 1300 م على يد السلطان عثمان وتعود أصولهم إلى منطقة تركستان الغربية، هاجروا إلى شرق الأناضول، ويسمون بالعثمانيين نسبةً إلى جدهم عثمان، استقروا في الأناضول واستطاعوا تكوين أمبراطورية واسعة شملت أجزاء كبيرة من قارات أسيا و أوربا وأفريقيا)(محمد، 1994) والأمبراطورية النمساوية في العصور الوسطى، لذلك كانت ساحة معركة بين القوى العظمى، و كان في صربيا تنوع ديني حيث سادت هناك ديانتيين المسيحية الأرثوذكسية وهي السائدة وديانة اغلب السكان، والمسيحية الكاثوليكية الرومانية والإسلام، كان أول مشهد مهم في مسرح التاريخ القانوني الصربي مرتبطًا بالفترة التي تم فيها تشكيل الدولة والكنيسة الصربية في العصور الوسطى المتأخرة كان في نهاية القرن الثاني عشر من قبل ستيفان نيمانيا، تم تشكيله على أراضي (SIMA، 2014، 86).

نشأ في الأراضي الصربية أكبر الحضارات في التاريخ الأوربي واقدمها وهي (حضارة الفينكا) التي استوطنها السلافيون الصقالبة بشكل دائم من عام 520م (خالد، 2022، 17) وتم إنشاء الدولة الصربية في العصور الوسطى في القرن الثاني عشر، وكانت من النصف الثاني من القرن الثاني عشر حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر تحكمها سلالة نيمانجيتش (LUKOVIĆ، 2015، 29) .

حصلت الدولة الصربية رسميًا على "الاعتراف الدولي" بسبب اعتراف نيمانيا، نال ابن نيمانيا الأصغر، القديس سافا، استقلال الكنيسة الصربية في عام 1219، في نفس العام، حصلت الكنيسة الصربية على الحق في تنظيم أعمالها الداخلية بشكل مستقل وتنظيم العلاقات الخارجية، وأصبح القديس سافا أول رئيس أساقفة صربي وأسس الجانب الروحي والتنظيمي للأرثوذكسية الصربية وفي نفس العام اصدر القانون العرفي الصربي التقليدي. الدستور الصربي الذي هو مجموعة من القواعد العلمانية والكنسية في مختلف فروع القانون، والتي ليس له علاقة كبيرة بالقضايا "الدستورية، بالإضافة إلى إنه لم يكن فيه أيضًا نوعاً من الرقابة الصارمة على الدستور، اللمسة الوحيدة بالمسائل "الدستورية يمكن الكشف عنها في جهود سانت سافا لتأكيد مفهوم التعاون بين الكنيسة والدولة، وفقًا للتصور البيزنطي في فكرة ذاتية استقلالية الكنيسة داخل الدولة ذات السيادة وهو لايزال مصدر قانوني مهم للكنيسة الأرثوذكسية الصربية، وقد تم استكماله وتعديله في العديد من الجوانب، وقد تألف قانونه من 70 فصلاً، والتي كانت 6 تمهيدية، و 44 بشأن قانون الكنيسة و 20 تعامل مع القانون العلماني، وكانت اغلبها ترجمة بسيطة وتجميع للقواعد البيزنطية، ولكن من الواضح في بعض الأجزاء يتعارض مع القانون المدني البيزنطي، على الرغم من أن القديس سافا لا يريد أن يتعارض مع قواعد الكنيسة السابقة، فإن مساهمته كان في حقيقة أنه أظهر اختراعاً رائعاً في اختيار القواعد من مختلف المصادر البيزنطية. وقد اهتم بمعايير حماية الفقراء والمستضعفين في المجتمع وإنشاء الرعاية الاجتماعية والمؤسسات التي تهتم بشكل خاص بالمعوقين والأرامل والفتيات اليتيمات وأسرى الحرب، وحماية العبيد من قسوة مالكهم، وحماية المدين من الدائنين لكن على الأرجح، في الخطة الثانية، محاولة تكييف القواعد البيزنطية مع المجتمع الصربي . وبذلك يُعتبر قانون القيصر دوشان الصربي، أحد أوائل التدوينات الأوروبية العظيمة في القرن الرابع عشر في العصور الوسطى، كما أنه كُتب باللغة الصربية القديمة وعلى عكس النماذج البيزنطية، فإنه يولي اهتماماً أكبر بكثير لتنظيم الدولة وإجراءات المحكمة، أكثر من نصف الفقرات تتعلق بالعلاقة بين مختلف الفئات الاجتماعية والحاكم، ولا سيما بين اللوردات والقيصر، بعض القواعد مكرسة للقانون الإداري وإدارة الدولة، في حين أن أقلية فقط من القواعد تتعلق بالقانون المدني .

وفي عام 1346م تم تتويج الملك ستيفان دوشان أمبراطوراً للصرب والرومان واليونانيون، وبعد وقت قصير من وفاة الأمبراطور دوشان في عام 1355م، بدأت مملكته الكبيرة بالتفكك إلى عدة أجزاء إقطاعية كانت مستقلة بشكل متزايد عنه ابنه ووريثه، الأمبراطور أوروس الخامس المعروف شعبياً باسم أوروس الضعيف بعد وفاة أوروس الخامس عام 1371، لم تعد الأمبراطورية البيزنطية (هي أمبراطورية عظمى، شملت العديد من مناطق أوربا تأسست في عام 380م على يد قسطنطين الأول وعاصمتها القسطنطينية وقد بقت إلى ان سقطت على ايدي العثمانيين عام 1453م)(نورمان، 1950) موجودة ولو اسمياً، استمرت المناطق التابعة لها التي حكمها اللوردات الإقطاعيين (هم اشخاص يملكون الأراضي من النبلاء والمحاربين وفق نظام الاقطاع الذي منحهم حق امتلاك الأراضي

وتوظيف الاشخاص للعمل في أراضيهم) (كارل، د.ت) الذين حملوا ألقاب مختلفة في الوجود، ولكن في أوائل عام 1370 ظهرت قوة جديدة في ذلك الجزء من البلقان وهم العثمانيون (LUKOVIĆ، 2015، 30) وحتى بعد سيطرتهم على صربيا وسقوط الدولة الصربية في القرن الرابع عشر بقى قانون العصور الوسطى الصربي يُستخدم داخل الكنيسة فقط ، حيث تم تطبيقه في الغالب في مجال الزواج والأسرة وقانون الميراث، لم يكن قانون القيصر دوشان بالكامل تم نسيانه، ولكن تمت إعادة كتابته عدة مرات حتى القرن الثامن عشر ويوجد حوالي 20 نسخة اليوم، نشهد أنه كان قيد الاستخدام، جزئيًا على الأقل .

في عام 1385 سقطت صوفيا على الأرجح، تبعها مدينة نيش في عام 1386م، وحاول السلطان مراد الأول ((1326– 1389) : هو مراد بن السلطان اورخان بن عثمان استلم العرش في الدولة العثمانية في عام 1360 م وكان يبلغ من العمر خمسة وثلاثون عأما، وكان له العديد من الحروب في منطقة البلقان، توفي عن عمر 65عأما، حضرة عزتلو بك اصاف) (محمد، 1995، 35-36) الدخول إلى الأراضي الصربية لكنه فشل ولم يستطيع السيطرة عليها إلا بعد ثلاث سنوات.

واجهت صربيا تهديد المجر من الشمال، والعثمانيين من الجنوب والشرق، فكان لابد لها ان تقبل سيادة أحدهم من أجل الحصول على الحماية من الآخر، فقبلت بالعثمانيين

المحور الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسة حتى عام 1804

حاول حكام في العصور الوسطى الصرب أن يمنحوا ثراءً قدر الإمكان للرهبنة، وذلك لضمان لحمايتها، كما يتضح من المواثيق المحفوظة، بالإضافة إلى وظائفهم اللاهوتية والبلاغية والأدبية، تستلزم احترام الكنيسة ومؤسساتها وهي كذلك كان للعقوبات المذكورة في المواثيق تأثير قوي على الناس و بهذه الطريقة قاموا بحماية أنفسهم وحدود القصور .

قانون دوشان هو أهم نصب تاريخي قانوني في صربيا في العصور الوسطى، ينظم بطريقة ملموسة العلاقات الاجتماعية، و العلاقات الاقتصادية والقانونية في منتصف القرن الرابع عشر، وسعى قانون دوشان إلى جعل الملكية قانونية من أجل تقليل النزاعات على الأراضي ومع ذلك كانت تحدث هناك مشاجرات على الأراضي وقد تحدث النزاعات بين قصرين، والقصور على جانب واحد والنبلاء من ناحية أخرى، وكذلك داخل القصر نفسه. بالإضافة إلى جميع القظايا الأخرى، وكان حاكم صربيا في العصور الوسطى"القاضي الأعلى" حيث كان يدير السلطة القضائية والسلطة التشريعية والحكم في أخطر الجرائم والنزاعات وفي حالة "الخيانة الزوجية من أجل الدم والاغتصاب والخطف و سيادة الأرض وغيرها من الحالات الأخرى، وكان الدور الكبير في القضاء يعود للقضاة ورجال الحاشية وأعيان ونبلاء يعينهم الحاكم .

تعد صربيا بلد جبلي، ويتميز بأنتشار الغابات فيه ولهذا أصبحت الزراعة هي اساس النشاط الاقتصادي فأهتموا بتربية الحيوانات وخاصة الخنازير التي كانوا يصدرونها إلى أسواق البوسنة والهرسك والنمسا (التكريتي، 2015، 51)، لذلك فقد عمل اغلبية سكان صربيا خلال العصور الوسطى بالزراعة، وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال عدد من الأدوات الزراعية الموجودة في المواقع الأثرية، وكان معظمهم في إنتاج وتصنيع المنتجات الزراعية، وقد

استخدم مزارعو العصور الوسطى الصربيين العديد من الأدوات المتنوعة التي سمحت لهم بالقيام بالأنشطة الزراعة المختلفة بكفاءة ، ومنها تهيئة التربة للتحضير لزراعة الحبوب، لكي تصبح مناسبة لزراعة أي محصول، كان لابد من حراثة التربة أولاً، وقد استخدموا ادوات يدوية مختلفة مثل المعاول، واستخدم المزارعون الحيوانات أيضًا- أجهزة الحرث المسحوب، على الرغم من أن الزراعة كانت الاقتصادية الرئيسية النشاط في صربيا في العصور الوسطى، تم العثور على 49 محراث في الآثار مواقع في صربيا، يعود تاريخها إلى القرنين التاسع والسادس عشر الميلاديين (MARKOVIĆ، 2013، 225-226)

لعبت الحيوانات الأليفة دورًا اقتصاديًا بارزًا في صربيا خلال العصور الوسطى، فقد كانت لتربية الأغنام والماعز والخنازير، وتم استخدامها ايضاً في سحب العربات والمحاريث (MARKOVIĆ، 2013، 227) .

كان ألفلاحون كمصدر للإيرادات الضريبية والسخرة، وكان ينظر الفلاحون الصرب إلى معظم المسلمين في المناطق الحضرية الصربية كفئة عديمة الفائدة ممادى إلى نقمتهم منهم

كانت صربيا بلداً زراعياً وكانت الأرض مملوكة للأقطاعيين و كان المجتمع الإقطاعي تم تقسيمه إلى طبقة من السادة الإقطاعيين وطبقة الفلاحين المستغَلين (MARKOVIĆ، 2013، 95)، وكان الاقطاعيين يقومون بإخضاع الفلاحين والسيطرة على أراضيهم بعدة طرق حتى سيطر معظمهم على أراضي واسعة وأصبحوا الملاك الحقيقين للأرض (التكريتي، 2015، 52) .

كان التعليم الأولي للشعب الصربي يتم في الكنائس والأديرة الصربية الأرثوذكسية، وقد عمل الرهبان والكهنة كمعلمين إلى جانب وظائفهم الدينية العادية، الطلاب الأوائل كانوا من الشباب الذين تدربوا على مهنة الكهنة، وقد كانوا عادة ما يرثون هذه المهنة من آبائهم، كان التعليم في بداياتهِ ذات طابع ديني محدود ولم تكن قادرة على توفير تعليم أوسع للطلاب، ولا يمكن أن تستجيب لأحتياجات روح العصر الجديد في منتصف القرن التاسع عشر، لذلك عمل تجار الصرب الأثرياء الذين كان لهم تأثير قوي في البلاد في إنشاء المدارس الخاصة الحديثة لتعليم ابنائهم، وقد تم دعم معظم المدارس الصربية مالياً من قبل صربيا وروسيا (MILOŠEVIĆ، 2020، 131). كانت المدارس الموجودة في البلدات قدمت تعليماً مستمراً مقارنة بتلك الموجودة في القرى، التي كانت في كثير من الأحيان تتوقف عن عملها او غالبًا ما يتم إغلاق بعضها

إلى الأبد بسبب غياب المعلم فيها، ومع ذلك كان عدد المدارس صغيراً ولم يتم عقد الفصول الدراسية بشكل منتظم حيث كان عليهم أن يستمروا مع مساحة غير كافية ومتواضعة وعدد الطلاب والمعلمين غير المتعلمين ونقص في الإشراف المهني، وكذلك النقص في الكتب المدرسية والأبجدية ومعدات العمل الأخرى، وكانت الكتب الأولى المستخدمة في المدارس الابتدائية هي كتاب الصلاة وسفر المزامير، وكان الطلاب الأوائل يعملون عند التخرج بمهنة

راهب أو كاهن، و كانت مثل هذه الكتب نادرة وباهظة الثمن للغاية، وكان الطلاب كذلك

غير مقسومة على الدرجات وقد تم تسميتهم بالكتب التي كانوا يدرسون منها: طلاب الأبجدية وطلاب الصلاة وطلاب المزامير إلخ (MILOŠEVIĆ، 2020، 132) .

أصبحت بلغراد بعد الفتح العثماني مركزاً رئيسياً سميت باشوية بلغراد، اما بقية الأراضي الصربية فقد قسمت على ثلاثة باشويات وهي البوسنة وفيدين وليكوفاتس (خالد، 2022، 35-36) .

عاش الفلاحون في الريف في تجمعات سميت ب (زادروجا) التي تشمل مجموعة من الأسر والتي يحكمها مجلس من كبار السن برئاسة شيخ يُدعى (كنيز) الذي ينتخب من قبلهم (العبيدي، 2018، 245)، وكانت الإدارية الريفية المحلية بيد شيوخ القرى والذين عادة ما يسيطرون على التجارة أيضًا، وكانت تربية الخنازير هي فرع الزراعة الذي أنتج أكبر كمية من المنتجات القابلة للتسويق الإقطاعي، كانت الطبقة الحاكمة تتمركز بشكل رئيسي في المدن والقلاع (NAROCHNITSKII، 1982، 18) .

في ظل ظروف شبه بطريركية في الريف، وأمية جميع السكان تقريباً، وصغر حجم المثقفين ورجال الدين في المقام الأول، فالأفكار السياسية والقانونية للفلسفة العلمانية لعصر التنوير في القرن الثامن عشر لم تكن قد وصلت بعد إلى صربيا، والأهم من ذلك، لم يكن هناك أي منهما ديمقراطي برجوازي- المبادئ والنظريات النقدية بالشكل الذي كانت فيه المعروف في الثورات البرجوازية الغربية في نهاية الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، قد ارتفع الوعي في صربيا في نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهرت أفكار ومشاريع للحكم الذاتي الصربي، أثناء وبعد حرب روسيا والنمسا ضد الدولة العثمانية في أواخر ثمانينيات القرن الثامن عشر وأوائل تسعينيات القرن التاسع عشر و في بداية القرن التاسع عشر، قامت السلطة الإقطاعية العثمانية- إلى زيادة فرض الضرائب وقد أدى ذلك إلى الذي خلق تهديدًا دائمًا على الحياة والممتلكات وأدى إلى الإبادة لجزء من السكان الصرب، وخاصة أعضاء كيانات الحكم الذاتي المحلي وهكذا، فإن سمات التحرر الإقطاعي والوطني المشتركة بين العديد من الثورات-وضعت في صربيا في ظل ظروف محلية ملموسة (NAROCHNITSKII، 1982، 19)

عندما سيطر العثمانيون على المنطقة في القرن الرابع عشر، هربت الطبقة الأرستقراطية الصربية أو هلكت أو أصبحت فقيرة وفقدت هويتها، وقد نص نظام الحكم العثماني على الباشا التركي سيحكم الإقليم وأن العثمانيين سيعملون كقضاة وأصحاب الأراضي، وقد منع هذا النظام صعود النبلاء الأصليين، لذلك كان الصرب من الفلاحين، وسكان الريف يعملون في تربية الحيوانات والزراعة،وكان للمدن هواء غير صربي، فقد كانت كذلك يسكنها الأتراك واليهود واليونانيون وغيرهم من الأجانب، وكانت كل قرية يحكمها مجلس الحكماء برئاسة مجموعة منتخبة من الشيوخ، و كانت الحكومة المحلية مستقلة عن الدولة العثمانية، كما كان يعيش عادة ملاك الأراضي الأتراك أو السباهيين الذين جاؤوا فقط إلى القرية لأخذ الضرائب ولكن بشكل عام رؤساء العائلات، وغالبًا من العائلات ذات المكانة الجيدة، يحظون باحترام كبير في القرية. تم تجميع القرى معًا في منطقة صربية (Martha، 1977، 9) . عندما سيطر العثمانيين على بلغراد 1521م، سمح السلطان العثماني سليمان القانوني للسكان الصربيين ان يستقروا في استنبول مع ممتلكاتهم وثرواتهم (خالد، 2014، 33)

كانت بلغراد عندما قام العثمانيون بفتحها في عام 1521م قلعة ضخمة تحتوي على ثكنة للجيش وبعض البيوت للقادة فعمل العثمانيين على تطويرها وبنى فيها العثمانيون العديد من الجوامع (محمد، 2014، 26-27).

في المدن كان يرأس الكنيسة مسؤولون يونانيون، عن البطريركية الصربية قد ألغيت في التسلسل الهرمي للكنيسة حتى عام 1831، وتم تعيينه عندما تم استعادة البطريركية الصربية، وكان الفساد كان شائعاً وقد استخدام الليتورجيا اليونانية إلى إبعاد الصرب عن الكنيسة خلال هذه الفترة، وقد أدت الكنيسة عبر القرون وظيفة حيوية بشكل رئيسي للحصول على الجنسية الصربية وكان العثمانيون لم يؤمنوا بالتحول القسري إلى الدين الإسلامي وأمبراطورهم وامنو بحرية الدين والمعتقد، و تم تقسيم الأمبراطورية إلى وحدات طبقية (الملل) حسب الدين، وكانت بلغراد جزءًا من الدين المسيحي الأرثوذكسي ووقعت تحت ولاية البطريرك اليوناني، القسطنطينية (عاصمة الأمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية، سميت بهذا الاسم نسبةً إلى قسطنطين الأول الذي قام بإنشائها وجعلها عاصمة للأمبراطورية الرومانية 330 م، فتحها العثمانيون على يد السلطان محمد الفاتح عام 1453 م) (الكيالي، 782-783). تخريب الكنيسة والهوية الدينية والإعلان الديني المنفصل-

في 1557 أعيد إنشاء البطريركية، وحتى عام 1766 خدمت الكنيسة الهوية الوطنية الصربية تحت الإدارة اليونانية، وبعد عام 1766 كانت الكنائس المحلية قليلة التأثر، كما كان يعمل معظم الكهنة بصعوبة.

لعب الشعر الملحمي والتقاليد الشفوية دورًا مهمًا في الحفاظ على الوعي القومي الصربي، فقد كانت قصة صربيا في العصور الوسطى وسقوطها المأساوي في معركة كوسوفو في عام 1389 تغنى لقرون من قبل شعراء الصرب الفلاحون، وكانت الحياة في باشاليك بلغراد ثابتة إلى حد ما ، كان العثمانيون يسيطرون على إدارة التجار وتجار يونانيون ويهود وغيرهم من التجار في أكبر البلدات والمدن، في حين بقى الفلاحين الصرب في الريف بشكل عام، كانت التجارة في حدها الأدنى مقايضة مكتفية ذاتيًا تقريبًا، وقد ساد الاقتصاد وكانت وجود أيدي كافية لتقسيم العمل والنشاط الاقتصادي الرئيسي كان نشاط تربية الخنازير. في بداية، وكان الفلاحون الصرب يأخذون أعدادًا كبيرة من الخنازير إلى الشمال إلى النمسا لبيعها. وهكذا كان تجار الخنازير هؤلاء على اتصال بكل من جاء إلى الصرب من النمسا والنمساويون أنفسهم للعب دور عجيب ضد العثمانيون، لم يكن الصربيين شديدي في مقاومة العثمانيين حتى بدأت الحكومة المركزية تفقد السيطرة على الإنكشارية قبل القرن التاسع عشر، كانت الأرض في صربيا يدعي نحو 900 سيفاه تركي منحوا الأرض (Martha، 1977، 11) مقابل الخدمة العسكرية، وكان الفلاحون يمتلكون حق الانتفاع بالوراثة على معظم الأراضي في مقابل بعض الواجبات والألتزامات وكانت التزامات الفلاح تجاه السباهي تتكون من حوالي عُشر إنتاج الأسرة، بالإضافة إلى الضرائب المدفوعة إلى السلطة والحكومة المحلية ؛ كمية صغيرة من السخرة أو غير مدفوعة الأجر، وقد ظهرت المشاكل كحكومة مركزية في الدولة العثمانية.

بدأت الأمبراطورية تضعف فقدت بعض الأراضي في أوروبا وأفريقيا وآسيا وهذا أدى إلى رجوع الجنود والإداريين إلى الدولة العثمانية، وتوجيه انتباههم لاكتساب المزيد من القوة والثروة، ولحماية العاصمة، أرسل السلطان الإنكشاريين الذين عملوا كتهديد مباشر للحكومة المركزية والمناطق المحيطة لبلغراد، فقد أجبروا الفلاحين على التخلي عن أراضيهم العشبية وطُلب منهم دفع إيجارات مرتفعة تتراوح بين إيجارات واحدة من ربع إلى نصف ناتجها الإجمالي. هذا التطور أساء للفلاحين ودفع الكثير منهم إلى الهجرة حوالي 30000 فروا إلى أمبراطورية هابسبورغ والمقاومة المسلحة واللصوصية، وانضم آلاف الصرب إلى النمساويين في حربهم مع الدولة العثمانية من 1788 إلى 1791 نتيجة لسوء الحكم الإنكشاري على الرغم من النمسا التي أحتلت باشاليك بلغراد، وأجبرت على إعادتها، بالنسبة للعثمانيين، لم تكن الحرب بدون موافقات مهمة على الصراع الصربي في المستقبل مع العثمانيين، تم تنفيذ الإصلاحات من قبل السلطان

سليم الثالث وربما الباشا المحبوب في بلغراد، الحاج مصطفى، "لقد كانت جهود الصرب لاستعادة إصلاحات الحاج مصطفى الذي أدى إلى ثورة 1804 وبدأت في النهاية النضال من أجل الاستقلال من الحكومة العثمانية التي أصبحت ضعيفة فقد أثرت الحرب النمساوية العثمانية على تطور الزعامة الصربية والسفن والقوات المقاتلة بشكل كبير، أولئك الذين قاتلوا من أجل النمسا فقد عادوا إلى صربيا وهم يملكون معرفة حول التنظيم والتكتيكات التي يمكن تطبيقها في المواجهة الصربية للعثمانيين، فقد أجروا اتصالات مع شعوب شمال الدانوب، بما في ذلك التجار الذين يمكنهم توفير الأسلحة والذخيرة، والقادة العسكريون والسياسيون الذين يمكن أن يساعدوا في القتال والدبلوماسية (Martha، 1977، 13) .

ان ازدها التجارة في بلغراد كان مرتبطاً بالمنشآت التي بنيت كالأسواق والخانات واستراحات القوافل فقد بُنيت العديد من الأسواق مثل سوق السمك والسوق الطويل الذي يبلغ طوله ثلاثة الآف خطوة والذي يجمع مختلف السلع والتي كانت مغطاة للوقاية من الثلج في الشتاء والحر في الصيف ذات الطابع الشرقي، بالإضافة إلى المقاهي (محمد، 2014، 32-33)

في بداية القرن التاسع عشر، كان معظم السكان في بلغراد فلاحين أميين، مع إحساسهم بصربيا العظيمة السابقة، وارادوا العيش فقط دون تدخل من الغرباء الذين طالبوا بعشور عالية والذين صادروهم ممتلكاتهم ، في عام 1801 قتل الإنكشاريون الحاج مصطفى وقاموا بحكم الإرهاب تحت قيادة أربعة من قادة الإنكشارية قاموا بذبح عددً منهم (Martha، 1977، 14)ونزحت العديد من عوائلها إلى الشمال، إلى بيئة كاثوليكية جديدة للصرب غير معروفة وحصرية في وقت الهجرة الكبرى للصرب 1690، نقلاً، فقد هاجر على رأس البطريرك شارنويفيتش ومن حوله، والذين تراوحت أعدادهم بين 30 و 40 ألفاً، دون احتساب هؤلاء الآلاف الذين كانوا في طريقهم إلى بودا وكوموران بقيت واستقرت في باتشكا وسريم وسلافونيا الشرقية وبارانيا وعلى طول نهر الدانوب إلى أسفل بودا. معهم، كما في حملات الأمير يوجين سافوي البوسنة، سيكون العدد الحقيقي للاجئين الصرب ضمن تقدير مؤرخ عظيم هيلاريون روفاركا: من 70.000 إلى 80.000 نسمة (ГАВРИЛОВИЋ، 2014، 140)

المحور الثالث: التمردات الصربية حتى عام 1804.

كان التوسع العثماني في معركة ماريتزا 1371م فقد حقق العثمانيين تحت سلطة السلطان مراد الأول (1362-1389م) من تحقيق النصر على الجيش الصربي تحت زعامة فوكاشين (vukashin) الذي قتل اثناء المعركة (اكرم، 2019، 2164)، وتحقيق الانتصار العثماني في معركة كوسوفو في السنوات 1389 -1402 على الجيش الصربي بقيادة الملك الصربي لازارا (lazar) الذي يساعده البلغار والبانيا (خالد، 2014، 29) وبذلك تم الضم العثماني السريع لمعظم مناطق البلقان، حيث شملت هذه الفتوحات الولايات البلغارية الثلاث شمالاً من سلسلة جبال البلقان، والعديد من الإمارات الصربية في البلقان وساعد الاستقرار السياسي والأقتصادي النسبي في البلقان ووفرة الموارد التي وفرتها هذه الأراضي العثمانيين على استمرار السيطرة على البلقان (Nikolay، 2017، 17) .

انضمت معظم صربيا تحت الحكم العثماني قبل عام 1453م بالرغم من ان كان يحكم صربيا عام 1355 حاكماً قوياً، كما كانت دولته - كان الملك ستيفان دوسان مواليد 1331

كانت "مقيدة بشكل فضفاض"، ولم يتم دمج مناطقها في إدارة على مستوى المملكة، ولكن بدلاً من ذلك يتحكم فيه الوجهاء المحليون، وفي عام 1371، أصبح العديد من الأعيان تابعين للسلطان. الشخص الذي لم يكن كذلك لازار هربليانوفيتش: كانت زوجته من السلالة الملكية ومن المدينة المحصنة نوفو بردو (كوسوفو الحديثة) كان يسيطر على أغنى مناجم الفضة في صربيا، وفي كوسوفو بولي عام 1389، التقى لازار وحلفاؤه بجيش مساوٍ أو أكبر الحجم تحت قيادة السلطان مراد الأول ومع ذلك كانت المعركة غير حاسمة، فإن العثمانيين فقط هم الذين لديهم القدرة على ذلك إعادة التجمع وتنظيم غزوات جديدة في الأراضي الصربية. أقسمت أرملة لازار (James، 2016، 30) ولائها للسلطان بايزيد الأول ((1361-1403) : هو السلطان بايزيد بن السلطان مراد الأول، رابع سلاطين الدولة العثمانية، تولى الحكم هو يبلغ من العمر ثلاثون عأما، عند بداية توليه الحكم جهز جيش استولى على مدينة ازبورنا ورودس، وقام عام 1394 بإخماد الفتن في الدولة العثمانية، وقام بالسيطرة على العديد من المدن الأوربية) (عزتلو بك، 38-39) وأرسلت ابنتها الصغرى أوليفيرا للانضمام إلى حريمه، وقد كان طاغية صربيا، ستيفان ابن لازاريفيتش بحاجة إلى دعم من جيران أكثر قوة بالتناوب، وهو الحصول على تعهد بالولاء للملك المجري سيجيسموند الأول (حكم من 1387 إلى 1437) والسلطان مراد، أو كلاهما في آن واحد، في عام 1426، تم قبول تجمع لوجهاء الصرب اختيار لازاريفيتش لابن أخيه جورج برانكوفيتش خلفا له، وقد أمسك برانكوفيتش نوفو بردو وبنى عاصمة قلعة جديدة في مدينة سميديريفو والتي تقع حوالي خمسين ميلاً أسفل نهر الدانوب من بلغراد، خسر كلتا المدينتين السلطان مراد الثاني ((1404-1451) : هو من أبرز السلاطين العثمانيين، ولد 1421، نجح السلطان مراد في توطيد اركان الدولة العثمانية في الأناضول وتحقيق العديد من الانتصارات العسكرية في أوربا، وتميز عصره بالاستقرار في السياسة الداخلية توفي 1415) (بركات، 2011) عام 1439 لكنه استعادهم عام 1444 بعد التوسط في معاهدة

في أواخر عام 1452، حاول السلطان محمد الفاتح ((1451-1481) : هو من أبرز السلاطين العثمانيين هو محمد بن مراد الثاني بن محمد الأول ولقب بالفاتح نتيجة لفتحه القسطنطينية، تولى الحكم هو بعمر 22 عام، تحولت الدولة العثمانية في عهده إلى أمبراطورية مترامية الاطراف نتيجة لفتحه عدد من المناطق) (علي، 1982) السيطرة على صربيا للمرة الثانية، إلا الطقس السيئ اجبره على التراجع (Colin، 2002، 20) .

وسع السلطان مراد بعد ذلك سيطرته على صربيا، وليس هذه المرة بالقوة ولكن بالزواج ففي عام 1435، تزوج السلطان مراد من مارا ابنة المستبد جورج برانكوفيتش، الذي جعل والدها تابعاً له وكان الزواج الخطوة الأولى في غزو صربيا فبحلول عام 1439، كانت صربيا تحت سيطرته (Colin، 2002، 28) .

وفي الأعوام 1454 و 1455، استولى على نوفو بردو الصربية، في عام 1457، توفي جورج برانكوفيتش وابنه لازار بعد ذلك بوقت قصير تعريضت أراضيه لغزو الملك المجري ماتياس كورفينوس فعملت الدولة العثمانية على السيطرة عليها عام 1458 وأصبحت تحت السيطرة العثمانية، وأصبح نهر الدانوب كحدود بين المجر والأمبراطورية العثمانية (Colin، 2002، 126) .

في 1454، كتب محمد الثاني إلى الديسبوت جورج، مدعيًا وراثة ستيفان لازاريفيتش بحق جدته، أوليفيرا ديسبينا و عندما لم يأت رد، أعلن الحرب وأسقط نوفو بردو عام 1455، وسقط سميديريفو عام 1457 . وانتقل لقب ديسبوت إلى حفيد برانكوفيتش .

قام التاجر كوتشي انجلكوفتش في صربيا ابان الحرب الروسية – العثمانية 1787-1792م بثورة ضد العثمانيين وسميت الثورة بأسمه ثورة كوتشي، وقد تعاون مع روسيا والنمسا، الا ان النمسا تخلت عنهم بعد عقدها صلح سيستوف عام 1791م (اكرم، 2019، 2166) التي دفعت النمسا للتخلي عن صربيا واعادتها إلى الدولة العثمانية (التكريتي، 2015، 52)، وهذه الاضرابات دفعت السلطان سليم الثالث إلى التدخل والقيام بعدة اصلاحات من اجل تهدئة الوضع في صربيا ومن اهم هذه الاصلاحات :

1- اصدار فرمان عام 1974م الذي منع من خلاله تواجد العثمانيين في بلغراد، والعمل على تحويل الأراضي إلى ملاك جدد.

2- اصدار فرمان ثاني عام 1896م وسع من خلاله الاستقلال السياسي لباشوية بلغراد .

إ لا ان حدوث التمرد الصربي فيما بعد ادى إلى عودة الانكشاريين والغاء هذه الامتيازات (اكرم، 2019، 2166).

الخاتمة

إن الساحة البلقانية بصورة عامة والصربية بصورة خاصة لم تكن بعيدة عن المؤثرات الداخلية والخارجية،فالدولة العثمانية كانت تمر بحالة من التراجع والتدهور في مختلف مؤسساتها مما شجع الشعوب الراضخة لسيطرتها على العمل الجاد من اجل التخلص من تلك السيطرة . فضلا عن التدخلات الخارجية من جهة وضعف الدولة العثمانية نتيجة الحروب التي خاضتها مع روسيا والنمسا والهزائم التي منيت بيها من جهة اخرى كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر الدولة العثمانية، وفي الوقت ذاته هيأت أرضية مناسبة للقيام الثورة الصربية . كما أن الدولة العثمانية أستمرت في نزيف الخسائر والهزائم المتتالية التي منيت بها، والميل إلى عقد مهادنات لأخرج بأقل الخسائر الممكنة، لاسيما وقد ترتب على عقد هذه المعاهدات استقلال الصرب والتي صارت نموذجاً للشعوب البلقانية الأخرى،وفي نفس الوقت كانت سببا في قيام ثورات اخرى لاسيما الثورة اليونانية إضافة أن ضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على تنفيذ أي خطوات إصلاحية، وتدهور مؤسساتها الإدارية والعسكرية، كل هذه الأمور عجلت في خروج كثير من المناطق عن سيطرتها،إضافة إلى التدخلات الخارجية نتيجة ذلك الضعف، جعلت من الدولة العثمانية دولة لا حول لها ولا قوة لها .

المصادر العربية

أحمد غانم حافظ، الأمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانحدار، تقديم حسين أحمد الشيخ (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 2007) .

اكرم جمعة صالح، الروس والهيمنة 1804-1878م الامارة الصربية انموذجاً، بحث منشور، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، المجلد 15، العدد4، السنة 2019، ص2164 .

انس ابراهيم خلف العبيدي، اسباب وعوامل قيام الثورة الصربية 1804، بحث منشور، حوليات اداب عين شمس، مج 46، 2018، ص245 .

حضرة عزتلو بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان، تقديم محمد زينهم محمد عزت (القاهرة : مكتبة مدبولي،1995)، ص 35-36

خالد احمد صبح الويس، المسألة الصربية 1804-1813 واثرها على العلاقات العثمانية الأوربية، اطروحة دكتوراه، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الانسانية، 2022، ص16-17 .

داليا محمد خيري عبد السلام بركات، العلاقات الخارجية للدول العثمانية في عهد السلطان مراد الثاني، رسالة ماجستير (غير منشورة) غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهد الدراسات والبحوث الانسانية،2011، المصدر السابق .

سيد رضوان علي، محمد الفاتح بطل الفتح الاسلامي في أوربا الشرقية (السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1982)

عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ج4، ص782-783 .

غدير رسول شواي حاتم صيهود السوداني، الأهمية الأستراتيجية لمنطقة البلقان في السياسة الدولية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، 2014، ص16.

كارل ستيفنسن، الاقطاع في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر (القاهرة : دار المعارف، د. ت) .

محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة (القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، 1994) .

محمد م . الارناؤوط، البلقان من الشرق إلى الاستشراق (قطر : منتدى العلاقات الدولية، 2014)، ص 9-10 .

نورمان بينز، الأمبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس، محمود يوسف زايد (القاهرة، مطبعة لجراك للترجمة والتأليف والنشر، 1950) .

هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774-1856 (بغداد : دار عدنان، 2015)، ص51.

المصادر الأجنبية

Colin Imber The Ottoman Empi, 1300–165, PALGRAVE MACMILLAN, newyourk 2002.11

DRAZIC, Dragana M., et al. Geographic, landscape and other natural characteristics of Belgrade as the basis for development of tourism. European Journal of Geography, 2014 ,96:5.،

James D. Tracy, ROWMAN & LITTLEFIELD,Balkan Wars Habsburg Croatia, Ottoman Bosnia, and Venetian Dalmatia, 1499–1617, United States of America ,2016,30

LUKOVIĆ, Miloš. Zakon vlahom (Ius Valachicum) in the charters issued to Serbian medievalmonasteries and kanuns regarding Vlachs in the early ottoman tax registers (defters.(Balcanica Posnaniensia Acta et studia, 2015, 22.1: 29

MARKOVIĆ, NEMANJA; BULATOVIĆ, JELENA. Ploughing in medieval times on the territoryof present-day Serbia. Archeometriai Műhely, 2013, 10.3: 225-226.

Martha. Meyer, The Early Development :of the Serbian and Romanian National Movements, 1800-1866 A Comparison. Bachelor of Arts , History and the Honors College, University of Oregon ,1977,9

MILOŠEVIĆ, BORIVOJE; LUKIĆ, SANDRA. THE SERBIAN ORTHODOX CHURCH ANDSERBIAN EDUCATION IN BOSNIA AND HERZEGOVINA IN THE LAST CENTURY OFOTTOMAN RULE. ISTRAŽIVANJA, Journal of Historical Researches, 2020, 31: 131.

NAROCHNITSKII, A. L. The Nature and Significance af the First Serbian Insurrection 1804- 1813،

Nikolay Antov ، The Ottoman “Wild West، Cambridge University Press.2017.17.

On of Intolerance and their Critics, 1804-1939. European History Quarterly, 2005, 35.3 ,466.:

PAVLOVIĆ, Pavle, et al. The soils of Serbia. Springer Netherlands, 2017 .1 .

SIMA, Avramovic. SERBIAN LAW BETWEEN ROMAN-BYZANTINE AND AUSTRIANTRADITIONS.Journal of International Philosophy, 2014, 4: 86

Soviet Studies in History, 1982, 20.4:18

БОЖАНИЋ, Снежана. „РАТНИЧКЕ ДРУЖИНЕ “СА ПРОСТОРА ЗЕТЕ И ОБЛАСТИЦРНОЈЕВИЋА У ИМОВИНСКО-ПРАВНИМ СПОРОВИМА ОКО ЗЕМЉИШТА- 1492-1445-ПАРАЛЕЛЕ СА СРЕДЊОВЕКОВНОМ СРБИЈОМ. ISTRAŽIVANJA, 2014, 25: 55

ГАВРИЛОВИЋ, Владан. ПРИМЕРИ МИГРАЦИЈА СРПСКОГ НАРОДА У УГАРСКЕПРОВИНЦИЈАЛНЕ ОБЛАСТИ 1699-1737. ISTRAŽIVANJA, Journal of Historical Researches, 2014, 25: 140 .